العرب
السبت 2021/11/27
السنة 44 العدد 12253

تيسير بركات يشقّ مسار الروح في الصخور

الفنان الفلسطيني يرسم عالما موازيا للحاضر بمنمنمات ديجيتالية

يقدّم الفنان الفلسطيني متعدّد الوسائط تيسير بركات معرضا فنيا في صالة "زوايا" بمدينة دبي الإماراتية يحمل عنوان "مسار الروح"، ويستعرض فيه آخر نتاجه الفني الذي شكّل منذ ما يقارب الثلاثين عاما حالة فريدة ساهمت في إرساء معالم الفن الفلسطيني المعاصر.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

يتواصل حتى الثامن من ديسمبر القادم بصالة "زوايا" في دبي معرض "مسار الروح" للفنان الفلسطيني المتعدّد الوسائط تيسير بركات.

معرض قالت عنه الصالة في بيانها الصحافي "معرض الفنان الفردي الأول في مدينة دبي يضمّ مجموعة من أعماله المشغولة بعدة وسائط ومواد منها الصباغ والحبر والألوان".

البيان الصحافي الذي نشرته صالة زوايا ليرافق معرض الفنان الفلسطيني تيسير بركات تحت عنوان "مسار الروح" يكشف عن ملامح فن بركات بشكل عام وعن معرضه الجديد هذا بشكل خاص بكلمات دقيقة جدا بعيدا عن السذاجة التي تتميّز بها العديد من البيانات الصحافية المرافقة لمعارض فنية/ شرق أوسطية. ولكن حبذا لو كانت الصالة وموقعها الرسمي الغني بكنوز الفن التشكيلي الفلسطيني تقدّم ذاتها والفنانين باللغة العربية كما تقدمها باللغة الإنجليزية في أحسن تقديم.

ويضيف البيان "أعمال الفنان تستعرض مسارا زاخرا بالناس وبأراض فلسطينية من خلال عدسة تتميّز بشفافية صوفية".

فن بركات في مجمله تلفحه نسائم روحانية دون أن تُبعثر ملامحه الحسية المرتبطة بمشاعر الألم والحزن

ويمكن الإضافة هنا أن فن بركات في مجمله تلفحه نسائم روحانية دون أن تُبعثر ملامحه الحسية المرتبطة ارتباطا وثيقا بمشاعر الألم والحزن والفرح البسيط المتصل بعنصرين هامين جدا، وهما الزمان المفتوح والمكان الذي، ويا لغرابته، هو ثابت ومائي في آن واحد.

عالم خفيّ وغامض

المرة الوحيدة التي التقيت فيها الفنان تيسير بركات كانت خلال مشاركته في معرض بيروتي عن تجربة التشكيل والهوية الفلسطينية في صالة "دار النمر للثقافة والفنون" والتي حوت ندوة شيقة عن الفنان نبيل عناني، الذي أودّ أن أسميه بالشلال الذي لا ينضب تجدّده، والفنان سليمان منصور شاعر الثبات الذي يكاد المرء يشتمّ عطور أرض فلسطين نافذة من ألوانه ومن السكون القدري الراشح من شخوصه.

نبيل عناني متواضع وغزير، وسليمان منصور متحفظ وباهر، أما تيسير بركات فهو كما أعماله القديمة والجديدة حسيّ وروحاني في آن واحد ويأسره الشكّ بكل وافد ومغادر.

ويأتي معرضه هذا الأثيري المعنون بـ"مسار الروح"، صادح بتساقط الحصىٰ الحاضرة في لوحاته وتدحرج حبوب الرمل الناتئة وعلىٰ إيقاع "صواعقه" الداخلية التي لا يُسمع لها صوت، ولكن تُرى بالعين المجردة، كي يؤكّد علىٰ هذا الخليط الذي يشكّل عمله، وهو الشبيه بخليط الزيت والماء الذي يدوم حتىٰ يسكن الاثنان منفصلين عن بعضهما بعضا وبينهما خيط/ أفق تلاق هو تلازم محاذاة وحنين.

وفي محاولة لتفكيك شفرات أعماله الفنية، لاسيما الجديدة منها، نذكر ما قاله يوما خلال وجوده في مصر في زيارة لمتحف محمود سعيد "أستذكر القصر ببهوه وأعمدته التي استطالت فيّ لا شعوريا أكثر من واقعيتها التي لا تزيد عن الثلاثة أمتار وأصبح البناء أكثر فخامة في ذاكرتي، فقد كنت أقيس الأشياء، كما أعرف مخيم جباليا، والذي لا يزيد ارتفاع أعلىٰ شباك فيه عن الأرض بالمتر ونصف المتر، ناهيك بأني أعرف أغلبية شبابيكه التي تتساوى مع الأرض، وأعرف أعدادا أكثر من الشبابيك والتي يكون منسوبها خمسة أمتار تحت سطح البحر".

يكاد هذا المعرض أن يكون تجسيدا "صوفيا"، إذا صحّ التعبير، لكلماته تلك. فهو اكتسب هذه الصور وأخرج منها نصا بصريا "جارفا" وحافلا بالعناصر. منها المستقاة من الحضارات القديمة كالأشورية والفينيقية والكنعانية ومنها ما استخرجه من ماضيه الشخصي، لاسيما من مخيم جباليا للاجئين الفلسطينيين الذي ولد فيه وعاش قبل أن ينتقل إلىٰ الدراسة في مصر.

بركات يرسم عالما موازيا للحاضر وليس بديلا عنه، وإلاّ لما كان الألم حاضرا فيه كتهديد والحزن موجود كذكرى مكرّسة لم تقطع حبل الصرة مع العالم الواقعي المأسوي.

ولما كان الانعتاق أيضا، لاسيما في شخوصه المحلقة والمتحوّلة إلىٰ رذاذ بحري، قادرة علىٰ الانفصال رغم ارتفاعها عن الشخوص التي تختبر آلام الإقصاء والحروب.

إنه عالم حسيّ وروحيّ في آن واحد، المادة فيه حمّالة للروح والروح فيه مصهور بالمادي/ الجسدي/ الحسي. وهو الذي يُبرز في عالمه هذا القدرة الماهرة في تظهير الخفي والغامض، ولكن بشكل محدود يمنع مُشاهد اللوحات أن يتأكّد بأن ما يراه حقيقة أو من صناعة خيال الفنان.

بين الداخل والخارج

في إحدى لوحات المعرض يرصّع الفنان مدينة أو قرية بمثلثات منمنمة هي أشبه بالأرقام الديجيتالية التي يتآلف منها العالم الأثيري/ الافتراضي الذي يرسمه. مثلثات رغم إيحاءاتها المعاصرة جدا تبقىٰ جميلة كالوشم وساحرة كالرموز المُستقاة من عالم حضر ومضىٰ.

وفي لوحة أخرى تظهر خيال شجرة عارمة، ولكنها حاضرة جدا لأنها خيال. والخيال الذي يرسمه الفنان والظل أيضا هما صور شبحية "مُلحة" لم تغادر اللوحة ولا هي أرادت مغادرتها. وبقربها خيال امرأة وقد أصبح ما يؤلفها هو تلاطم أوراق الشجرة تلك.

في هذه اللوحة أصبح الخارج في الداخل والداخل منتصبا وقادرا علىٰ استيعاب العالم الخارجي بأسره، البحر حاضر وأمواجه ويمكن العثور عليه جليا. ولكن أجمل حضوره هو عندما يتمظهر في لوحات لا تجسّد البحر، بل البحر يسكنها من خلال حركاته وتقلّب أمواجه وحركاته المائية، حتىٰ أن بعض الشخوص تبدو وكأنها نقط من ماء تبعثرت في فضاء مشحون بالتفاصيل.

رموز مُستقاة من عالم حضر ومضى

للوهلة الأولىٰ تذكّر لوحات بركان بما وجد في عتمة الكهوف القديمة (الأسود والأبيض ليست ألوانا في لوحاته، بقدر ما هي وسائل للتظهير والإخفاء)، ولكن سرعان ما يذهب هذا الانطباع ويحلّ مكانه الرذاذ المثقل بالغبار والبخار والرطوبة والضباب وسديمية المادة عندما تنطق بروحها، ولا شيء غير ذلك.

وتيسير بركات الفنان المتعدّد الوسائط والشغوف باختبار المواد واستخدامها لتكون وسيطا مُسهلا لبلوغ المعنىٰ المُرتجىٰ، من مواليد مخيم جباليا، قطاع غزة في العام 1959. حصل علىٰ بكالوريوس الفنون الجميلة من الإسكندرية عام 1983، وهو عضو في رابطة الفنانين الفلسطينيين منذ العام 1984، ويقيم الآن في رام الله.

له العديد من المعارض نذكر منها معرض بينالي ساو باولو الدولي عام 1997، ومعرض النمسا عام 2006، ودمشق عام 2010، وبينالي الإسكندرية عام 1989، وروما (1996–1989)، ومتحف الفن الحديث في ستوكهولم عام 1996، ومعرض مقر الأمم المتحدة في نيويورك عام 1997، ومعهد العالم العربي في باريس عام 2000، وبينالي الشارقة عام 2003، ومتحف الفنون المعاصرة في هيوستن بولاية تكساس الأميركية، ودبي وغيرها الكثير.

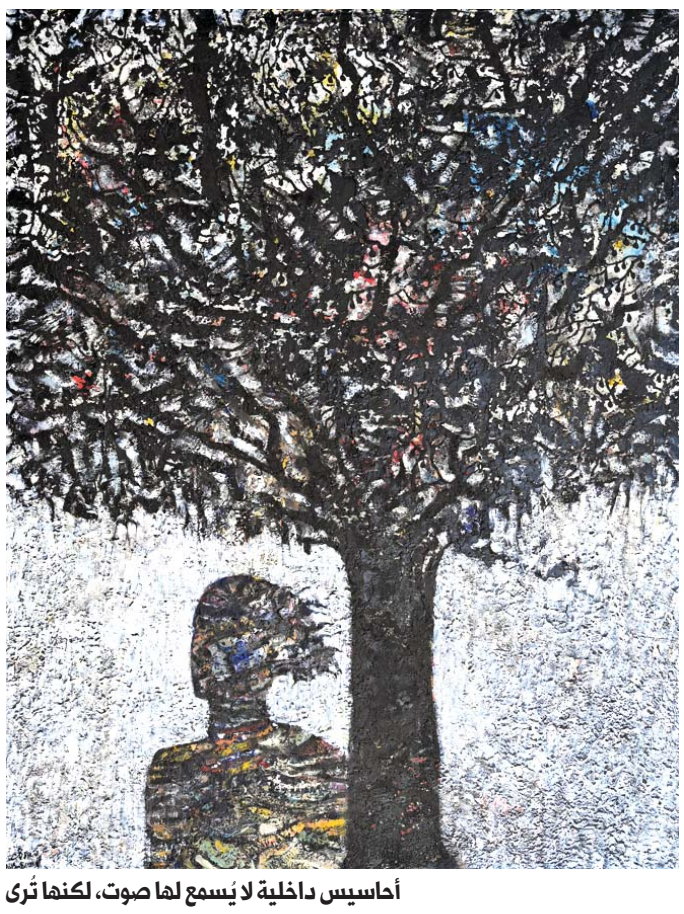

أحاسيس داخلية لا يَسمع لها صوت، لكنها تُرى

هاشمي عامر يسرد تاريخ الجزائر ومعالمها عبر الخطوط والألوان

الجزائر - يتواصل إلىٰ غاية التاسع من ديسمبر القادم بغاليري "الزوار" بالعاصمة الجزائر معرض "الجزائر من خلال الخط" للفنان التشكيلي هاشمي عامر.

ويضمّ المعرض العديد من الأعمال التي يجمع بينها الاشتغال علىٰ إعادة تصوير الجزائر ومعالمها من خلال نظرة عامر الذي يتميّز بأسلوب خاص عماده الخطوط والألوان والمنمنمات.

ويجمع الفنان بين الكلاسيكية في التقنية والحداثة والمعاصرة في فهم العمل، علاوة علىٰ ذلك تعكس أعماله اللحظة الراهنة في السياق العام.

وتبدو لوحات عامر للوهلة الأولىٰ أشبه بفن المنمنمات لولا تلك اللمسة الشخصية المعاصرة القريبة إلىٰ حركة البوب آرت الفنية التي تميّزها عن المنمنمات الكلاسيكية، حتىٰ وإن ظل وفيا للمبادئ الأساسية لفن المنمنمات ذلك النوع من الرسم المعروف بأبعاده المصغّرة، والتي غالبا ما تنجز بالرسم المائي والغواش أو الزيتي، إلاّ أن عامر أدخل تجديدا واضحا في طريقته لإنجاز تلك المنمنمات التي تتميّز كلها بالطابع المعاصر.

وخلافا للمواضيع المعروفة لدى الفنانين المستشرقين وعشاق الفن العربي الإسلامي، فإن عامر يستعمل هذا الفن القديم لإبراز مواضيع الساعة، لاسيما تلك الحاصلة في العالم العربي.

ورغم أن منمنماته تبدو مختلفة عن تلك الخاصة برواد هذا الفن من الجزائريين وعلىٰ رأسهم محمد راسم، فإنها تتضمّن في جزء منها بعض الأشكال الكلاسيكية كفن الخط والأرابيسك والأمثال الشعبية والآيات القرآنية.. إلخ.

وبالتعمّق في تلك اللوحات يبرز ذاك البعد المعاصر للأعمال التي تحظىٰ باستحسان المتلقي، لأنها تخلو من أي اعتداء أو تشويه لفن المنمنمات حتىٰ وإن أعطت بعض اللوحات الانطباع بأنها غير مكتملة وأخرى تظهر أنها مجزأة أو مقسّمة إلىٰ اثنين.

وقد أدخل الرسام علىٰ منمنماته تقنيات جديدة علىٰ غرار استعمال طوابع بريدية قديمة في شكل إطارات لوحة نصف مرسومة، أو من خلال بقايا الأحرف العربية وأشكال قريبة من الأرابيسك يتمّ تركيزها في وسط أو علىٰ جوانب اللوحات.

وهو في ذلك يكسر الشكل التقليدي للوحات سواء في عناصر اللوحة نفسها كالزخرفة بشكل عام والوحدات الزخرفية ثم المنمنمة ثم التركيب ككل.. ويبدو ذلك جليا من خلال تأثّره بالمدارس الفنية العالمية وبعالم الغرافيك، مع المحافظة علىٰ الأصالة في الوقت ذاته.

ولعامر تجربة بصرية خاصة قدّمها في يناير الماضي بروّاق "باية" بقصر الثقافة بالجزائر العاصمة لخّص فيها تجربتين ثريتين قادتاه إلىٰ الصين، الأولىٰ بين 1985 و1986 حيث قضىٰ ثلاث سنوات في أكاديمية الفنون الطبيعية ببكين، والثانية في العام 2012 حيث شارك في ورشات الفنانين العرب.

وخلال هذا المعرض الذي جاء بعنوان "الصين بعيون هاشمي عامر" جسّد ذكريات أسفاره إلىٰ الصين من خلال لوحات فنية رصد فيها خصوصيات وحضارة وإنجازات البلد وكرم وأحاسيس شعبه.

وعبر ستين لوحة أنجزها الفنان بتقنية الرسومات التخطيطية وأيضا بطريقة الألوان المائية استطاع أن ينقل تلك التجربة إلىٰ الجزائريين من خلال لوحاته التي سلّطت الضوء علىٰ المعالم السياحية والمعابد والبنايات الجميلة التي ترمز إلىٰ عراقة الفن المعماري الصيني وجمالياته المنفردة، وأيضا الحدائق الخلابة والمناظر الطبيعية الساحرة لبلد المليار وأربع مئة مليون نسمة.

وركّز الفنان في أعماله علىٰ التراث الصيني القديم والمعالم التاريخية المدرجة ضمن التراث العالمي، علىٰ غرار "معبد السماء" و"صور الصين العظيم" و"نهر التنين الأسود" و"مقبرة الإمبراطور تشينغ سيهوانغ" وغيرها من اللوحات التي جسّدت بدقة خصوصيات الحياة اليومية للشعب الصيني في لحظات مليئة بالإنسانية والعطاء

وقد نجح عامر في معرضه في أن يلخّص التجربة التي عاشها في الصين ويستحضر جانبا من ذكرياته فيها عبر أعمال فنية جمعت بين التحكّم في تقنيات الـ"كروكي" وإضفاء الحسّ الجمالي والبعد الإنساني علىٰ لوحاته.

والصين معروفة أيضا بمنمنماتها الخلابة وبتقنياتها في عالم المنمنمات التي تأثّر بها عامر ووظفها في أعماله في جمع فريد بين الأرابيسك العربي والفنون الصينية التقليدية.

وإلىٰ جانب اشتغاله علىٰ فن المنمنمات يمتلك عامر مواهب أخرى في الرسم المعاصر والتصوير الفوتوغرافي، وهو ينحدر من منطقة متيجة التاريخيّة التي تشتهر بأراضيها الخصبة، الأمر الذي أورثه خيالا واسعا.

وولد هاشمي عامر في العام 1959 في حجوط، وتحصل عام 1981 علىٰ شهادة في الدراسات الفنية العامة من المدرسة الوطنية للفنون الجميلة في الجزائر العاصمة، وانضم إلىٰ ورشة الرسم مع دينيس مارتينيز وسامطا بن يحيىٰ، ثم ورشة العمل المصغرة مع محمد رنيم ومصطفىٰ بن دباغ، وفي عام 1985 تحصل علىٰ الدبلوم الوطني لدراسات الفنون الجميلة تخصّص "المنمنمات"، تبعه دبلوم آخر في عام 1988 درجة البكالوريوس في الدراسات العليا من الأكاديمية المركزية للفنون التطبيقية ببكين.

ومكّنت مسيرة عامر الفنية التي امتدت لأكثر من ثلاثين عاما من عرض أعماله في كبرى قاعات العرض الجزائرية، من قاعة مجلس مدينة القبة عام 1981، إلىٰ قاعة الحمادة في مستغانم عام 1992، مرورا بقاعة ألفا في وهران عام 1994 ومعهد الهندسة الزراعية عام 1996 في مستغانم وصولا إلىٰ معرضه الأخير بغاليري الزوار بالعاصمة الجزائر.

لوحات عامر أشبه بفن المنمنمات لولا لمسته الشخصية المعاصرة القريبة من حركة البوب آرت الفنية

كما شارك الفنان الجزائري في العديد من المعارض الفردية والجماعية في الولايات المتحدة وفنزويلا وإيران والصين وإسبانيا وفرنسا وغيرها.

تحكّم في تقنية الـ«كروكي» حسيا وجماليا

الجزائر ومعالمها وناسها من خلال الخط فقط